من مفاتيح التدبُّر

الخطوة الأولى: القراءة، وتقتضي المصاحبة.

الخطوة الثانية: التعقل= التركيز وعدم التشتت لأن هذا مقتضى العقل.

لماذا قال {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤]؟

لما قال الله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ} [البقرة: ١٨٣].. لا بد أن يأتي سؤال: متى وكم وكيف؟

فبدأت الإجابات على هذه الأسئلة بقوله:

{أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} : فهمنا من ذلك أن الصيام ليس مطلقًا ليس طول السنة ولا على مدى أيامها، وإنما الصيام محدود الأيام فقلَّل الله ﷻ أيامه، فقال: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}.

الخطوة الثالثة: صغ من التدبر عباراتك المضيئة المبهجة:

الصيام تكليف مرتبط بالتخفيف.

الصيام مرتبط بالتشويق والإثارة والتحفيز لاستغلال اللحظات {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}.

أيام الصيام أيام ثمينة، ولذا فهي قليلة مقارنة ببقية أيام السنة {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}.

الخطوة الرابعة: اسبح في معاني الكلمة الواحدة سبحًا طويلًا:

- **قد يقتضي النظر في الكلمة أن تفكر فيها.**
- **قد يقتضي السبح في الكلمة أن تراجع فيها مرجعًا.**
- **قد يقتضي السبح في الكلمة أن تسأل عنها غيرك..**

وبعد سبحك في الكلمة ستبدو لك آفاق جديدة في المعنى والأثر

فلنسبح في كلمة {أَقْفَالُهَآ} [محمد: ٢٤]:

عن خالد بن معدان قال: «ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله ﷻ بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في

قلبه فأبصر بهما ما وعد الله ﷻ بالغيب، فأمن الغيبَ بالغيب، وإذا أراد الله ﷻ به غير ذلك تركه على ما فيه». ثم قرأ: {أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [محمد: ٢٤](١).

هذه الكلمة تصور لك الأقفال المتكاثرة التي تغلق نظر القلوب إلى أمر المستقبل والآخرة:

عــايِنْ بِقَلْبِــكَ إنَّ العَــينَ غافِلَــةٌ عــنِ الحقيقــةِ، واعلَــمْ أنَّهــا سَــقَرُ

عن سهل بن سعد ﷺ، قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: « {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} [محمد: ٢٤]، وغلام جالس عند رسول الله ﷺ فقال: «بلى، والله يا رسول الله، إن عليها لأقفالها، ولا يفتحها إلا الذي أقفلها»، فلما وُلِّي عمر ﷺ طلبه ليستعمله، وقال: « إنه لم يقل ذلك إلا من عقل »(٢).

فيحتمل أنه أراد أن الله ﷻ أقفلها عقوبة كما طبع على قلب الفاسق وختم عليه بسبب فسقه، وفي هذه الحالة فمتى تفتح هذه الأقفال بأن يرجع هذا الذي أقفل الله ﷻ قلبه إلى ربه يتضرع إليه أن يفتح قلبه لنور الإيمان.

ويحتمل أن الذي أقفلها هو الشخص نفسه بأن صد نفسه عن سبيل الله ﷻ بالشهوات والشبهات والبعد عن أماكن الأعمال الصالحات، وهو بيده أن يفتح هذه الأقفال بالعكس بأن يعالج الشبهات، وأن يضبط الشهوات، وأن يبحث عن الأعمال الصالحات، فالمفتاح بيده.

---

(١) اعتلال القلوب للخرائطي ٣٢٧ - (١ / ٤٧).

(٢) القضاء والقدر للبيهقي (١ / ٣٥٠).

الخطوة الخامسة: اسبح سبحًا طويلًا في مجموع الآيات:

قد يقتضي ذلك أن تقرأ السورة آية آية، وتستخلص من كل آية مفهومًا محددًا، ثم تنتقل إلى الآية التي تليها، وتستخلص مفهومًا آخر مرتبطًا بالسابق... وهكذا إلى حتى تصل إلى آخر آية في الموضوع أو آخر في السورة أو آخر آية في صفحة أو صفحات محددة.

مثال ذلك:

آخذ الآية الأولى من سورة الماعون مع ما بعدها، ثم النظر في العلاقة بين هذه الآيات.. خاصة أن الله ﷻ ذكر الويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون.. فأربط ذلك: بالتكذيب بالدين.

أو آخذ الموضوع الإجمالي لقصة آدم عليه السلام في سورة البقرة، ثم الموضوع الإجمالي لقصة بني إسرائيل، ثم أنظر ما وجه الارتباط بينهما حتى جاءت قصة بني إسرائيل مباشرة بعد قصة آدم دون ذكر نوح وهود وصالح وإبراهيم عليهم السلام، وهم قبل بني إسرائيل.

الخطوة السادسة: مراجعة أسباب النزول.

الخطوة السابعة: جمع الآيات المتناظرة.

الخطوة الثامنة: جمع الآيات المتقابلة.

الخطوة التاسعة: ربط الآيات بأسماء السور.

الخطوة العاشرة: النظر في مواضع الكلمات القرآنية في الآية وما اعتراها من التقديم والتأخير: مثلًا: كلمة {رَغَدًا} في قصتي آدم وبني إسرائيل من سورة البقرة، فلماذا قدَّم الله {رَغَدًا} في قصة آدم عليه السلام فقال: {وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [البقرة: ٣٥]، وقال في قصة بني إسرائيل: {وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا} [البقرة: ٥٨]؟

الجواب: الآية الأولى: الكلام مع آدم عليه السلام للترخيص بسكن الجنة أولاً {ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ} ، ثم بالأكل من الجنة {وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا}، ثم بمطلق المكان {حَيْثُ شِئْتُمَا}، المكان مطلق غير مقيّد، ثم قيّده بشجرة {وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ} هذا التقييد بعد الإطلاق هو نوع من الاستثناء كأنه قال: كلوا من كل هذه الأماكن إلا من هذا المكان. فلما كان الكلام استثناء من مكان ربط بين المستثنى والمستثنى منه، المستثنى منه (حيث شئتما) والمستثنى (قربان الشجرة) فلا بد من اتصالهما؛ لذلك قدَّم {رَغَدًا} مع نوع من الاهتمام بالعيش الهنيء لهما، كلا منها رغداً حيث شئتما إلا من هذا الموضع، فجمع بين المكان المستثنى منه وبين المكان المستثنى الذي ينبغي أن لا يقرباه، وهذا السر في تقدُّم {رَغَدًا}.

أما الآية الأخرى فليس فيه استثناء، وإلا كان يقدم، أي: هذه القرية مفتوح أمامكم جميع نواحيها للأكل الرغد، للأكل الهنيء، {ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا} جمع المكانين (القرية) و(حيث شئتم)، ثم جاء بـ (رغداً) بعد ذلك،

ولو قال: رغداً حيث شئتم فسيكون هناك فاصل بين المكانين: القرية وحيث شئتم من دون داع.

الخطوة الحادية عشرة: ربط ذلك كله بموضوع السورة الكلي.